اسباب الثورة الروسية

وعواطرها

عاد المستر جون بلوك الكاتب الانكليزي من روسيا بطريق فنلندا بعد ما بحث في احوال الروس بحثاً دقيقاً وكتب فيها المقالة التالية وقد لخصناها عن جزء يونيو من مجلة القرن التاسع عشر قال

كان الالمان يحاولون تخويف اوربا من اهل الصين الذين لقبوهم بالخطر الاصفر. ثم جعلوا يخوفوننا في بداءة الحرب من خطر القزاق لكي ننقطع عن الميل الى الروس. حتى لقد زعم البعض منا ان سيل روسيا الجارف سيصل الينا بعد ما يقضي على الالمان. كل هذا كان من قبيل الايهام ولكن الالمان رأوا بعد ذلك ان يلجأوا الى استنباط خطر حقيقي ولم يجاهروا بفعلتهم بل اخفوها لانهم علموا انها خطر حقيقي وكلما زادوا تحفظاً في اخفائه زاد ضرره علينا وهو الخطر المعروف بالبلشفية

في روسيا رجل من اصل يهودي وهو صحافي مشهور وكاتب من اكتب الكتّاب يغار على روسيا وعلى مصلحة الحلفاء اشد الغيرة. كان هذا الرجل في برلين حينما نشبت الحرب. فتذاكر مع اصدقائه من الالمان وابان لهم ان روسيا لا تُقهر لما فيها من السهول الفسيحة والحراج الغبياء التي ابتلعت جيش نابوليون. فقالوا اننا نعلم ذلك كله. فقال لهم وعلى ماذا انتم معتمدون فقالوا على الثورة في روسيا

ثم ثارت الثورة في روسيا في اوائل سنة ١٩١٧ لكنها لم تكن الثورة التي عناها الالمان بل ثورة قام بها محبو وطنهم لانهم رأوا حكومتهم متدرجة من رديء الى اردأ منه فخافوا ان تخون عهد الحلفاء وتصالح الالمان بواسطة صنائع الالمان من مثل راسبوتين وستورمر وبروتوبوبوف الذين اصبحت لهم السلطة التامة على القيصر بواسطة ذلك الداهية رسبوتين الذي استهوى الامبراطورة. وعزموا ان ينقذوا بلادهم من فخ الالمان ويبقوا على عهد الحلفاء. فادرك الالمان ذلك قبل حصوله وبادروا الى تلافيه. ففي اليوم الثالث من ايام الثورة هرع

سلايام الى اماكن شرب الشاي التي أُعدت للجنود وجعلت كل صبيَّة منهنَّ تكلم الجنود وتحثهم على طلب الصلح مهما كان فتقول الصبيَّة للجندي أمعك سيكارة فيقول كلا فتقول ياعيب عليك تعال الى بيتي في المساء فاعطيك سيكارة وتخبره بمكان بيتها فيأتيه في المساء فتعطيه جانباً كبيراً من السكاير ومبلغاً من النقود ومقداراً من المنشورات ليوزعها على رفاقه في ساحة القتال وفيها حثهم لكي لا يقاتلوا اخوانهم الالمان الذين هم اشتراكيون مثلهم بل يعودوا ويستولوا على الاطيان قبلما يأخذها الاغنياء من امامهم . وكان إبطال الحرب والاستيلاء على الاطيان شعار ذحاة الالمان في روسيا قبلما سمُّوا باسم البلشفيك . والحركة التي قام بها اولئك الصبايا والاموال التي كانت ترد من المانيا لنشر الجرائد التي مشربها مثل مشرب الالمان دليل على ان الحركة لم تكن اشتراكية بل المانية محضة قام بها خونة مأجورون ضد روسيا ولما تهيأ لهم ذلك ارسلت الحكومة الالمانية لنين وجماعته لكي يديروا هذه الحركة

ولا شبهة ان هذه الدسيسة الالمانية وهذا الذهب الالماني فعلا أكثر كثيراً مما فعلهُ المتطرفون من الاشتراكيين مع ان هؤلاء ايضاً كانوا من اجراء الالمان فان المانيا ارسلتهم الى روسيا وعضدتهم وكانت تدفع الاموال لهم. فاصل البلشفية ومواردها من المانيا وما دعاها الاَّ آلات في يد الالمان . وقد انتحلوا شعار الاشتراكية خدعةً وما هم في الحقيقة الاَّ لصوص وقتلة . ولقد افتخر ترتسكي امام صحافيّ اميركي سنة ١٩١٧ بقوله « لقد اتيت وفي جيبي عشرة آلاف جنيه » . وهو المبلغ الذي كان الالمان يتقدونهُ اياهُ كل شهر

والبحث عن اصل البلشفية والغرض الذي ترمي اليهِ اهم من ذكر افعال التي فعلتها في روسيا لان غرضها يتناول سائر البلدان المعادية لالمانيا. فعمل البلشفيك في روسيا كان في مبدئهِ مناقضاً للثورة لان زعماء الثورة كانوا معادين لالمانيا وساعين في تأييد بريطانيا فبعثت المانيا بدعاة البلشفية لكي تقاومهم وتقضي على الحرية وتؤيد الاستبداد

وتفصيل ذلك ان الالمان رأوا من اول الامر ان دفة الحرب في يد انكلترا فاذا انتزعوها منها فازوا والاَّ فلا . وقد قال ملكهم فردرك الكبير قولاً يؤثر

عنهُ وهو « اذا صار نريس (ملك فرنسا) الى الحرب اخذ معهُ خمسين طباخاً اما انا فارسل اماهي مئة جاسوس » فرأوا ان يقتدوا بهِ ويمنوا بجواسيسهم الى روسيا حتى يقضوا عليها بغير حرب فنازوا بتوقيف الحرب في روسيا سنة ولما استتب لهم ذلك سعوا في تحويل قوة روسيا ضد انكلترا . نعم ان هؤلاء الجواسيس او العمال لم يعملوا دائماً حسب رغبة المانيا ولكن ذلك لا ينفي انهم كانوا يعملون لها. وكانت المانيا تهددهم من وقت الى آخر بانها تأتي وتضرب على يدهم اذا لم يقوموا بما تطلبهُ منهم ولذلك قال تروتسكي لما قُتل الكونت مربلخ ان الغرض من قتلهِ مقاومة البلشفية اكثر من مقاومة المانيا. وقد كان من آخر الاعمال التي عملها البلشفيك قبلما دارت الدائرة على المانيا انهم بعثوا بكل ما عندهم من الذهب الروسي الى برلين مع ان الالمان لم يكونوا قادرين حينئذٍ على مساعدتهم لامتلاك بتروغراد فلم يرسلوا هذا الذهب الاَّ وفاءً بوعد كانوا مرتبطين بهِ . والآن صار البلشفيك يتوقعون المساعدة من المانيا على اعدائهم في روميا واذا دارت الدائرة عليهم واضطروا الى الفرار فالى المانيا يفرون . فبينهم وبين الالمان عهود وثيقة لانهم صنائع المانيا . وهم آخر سهم في كنانة الالمان رموا بهِ روسيا ويقصدون ان يرموا بهِ سائر الحلفاء . والالمان إما ان يوقّعوا معاهدة الصلح ويقبلوا بها حسب الظاهر ويستمروا على مساعدة البلشفيك لكي يوغلوا بواسطتهم في روسيا ويستولوا عليها واما ان يجدوا انهم لا يستطيعون الاعتماد على البلشفيك لهذا الغرض فيدعون البلشفية تنتشر في فرنسا وايطاليا وتقوض اركان العمران الاوربي سواء وقّعوا معاهدة الصلح او لم يوقعوها لاعتقادهم انهم يتملصون من تبعتها قبل غيرهم ويسودون المسكونة . ولا شبهة ان كثيرين من الالمان يستهوون هذا الرأي ولكنهم قد يفضلونهُ على البقاء مدة سنين كثيرة يعملون فيها لمنفعة الحلفاء . وسواء جرى الامر الاول او الثاني فالنتيجة التحام روسيا بالمانيا او استعباد روسيا للمانيا وقد بدت دلائل ذلك في استلام ضباط الالمان لقيادة جنود البلشفيك وتجهيزهم بالمدافع الالمانية . واذا استولت المانيا على روسيا و نقدتها من الفوضى التي هي فيها فانها تصير اوفر ممالك اوربا خيرات ويتكوَّن منها ومن المانيا بعد عشرين سنة او خمس وعشرين سنة قوة اعظم من كل قوة

يمكن ان تتصدى لها . وكل ما يقع من التغير في احوالها هو ان الالمان كانوا قبل انكسار شوكتهم يزدرون البلشفيك اما بعد ان انكسرت فسيطلقون الرؤوس لهم ويصادقونهم ويشاركونهم دائرين انفسهم وكبرياءهم لكي يردوا شأن بلادهم. وهذا وجه من وجهي الخطر الروسي الحقيقي. والوجه الآخر لا يقل عنه خطارة وهو ان البلشفيك يعلمون كما يعلم الالمان ان انكلترا عدوهم الالد فيبذلون اقصى جهدهم للاضرار بها لاسيما وانهم يعلمون ان سيادتها تناقض سيادتهم على خط مستقيم وقد حاولوا مرة ان يخدعوا ساسة الانكليز لكي يعترفوا بهم ولما فشلوا في ذلك زادت عداوتهم لهم وصار اهم اغراضهم ان يقلبوا ايدي الانكليز عن العمل والا قضي عليهم وصارت ايامهم معدودة فقروا على خطة نبوليون وهي مشاغلة العدو في كل مكان واختيار نقطة محدودة وتوجيه معظم القوة اليها فوجهوا نظرهم الى انكلترا واسكتلندا وارلندا وكندا واستراليا ولكنهم قالوا ان الهند اقل تحفظاً من غيرها فاجتمع مثيرو الثورة الهندية في موسكو منذ الصيف الماضي ومعهم جماعة كبيرة من المشاغبة من كل الاجناس والمذاهب فعلموا يعلموهم كيفية اثارة السكان الآمنين ويخرجونهم في اسالب الدسائس والفتن واجمعوا على ان يبتدىء عملهم الاهم في الهند نفسها في اواخر شهر مارس الماضي ولم يتأخروا عن ذلك الميعاد سوى اسبوع او اسبوعين إما لان التدابير التي دبرت لقتل امير الافغان لم تتم في الميعاد او لسبب آخر

ثم استطرد الكاتب الى ذكر ما حدث في مصر والهند وافغانستان مما هو معلوم وختم مقالته بان الواجب على انكلترا ان تقضي على البلشفيك في هذا الصيف والا تفاقم شرهم في الشتاء حين تتعذر محاربتهم في روسيا ويتسع الخرق على الواقع

وقد يكون الكاتب مسائغاً في تشاؤمه ولكن لا شبهة في ان البلشفيك خدعوا المانيا وخربوا روسيا وان اعمالهم على ما هو معروف عنها حجة يشبر منها العمران فلا يحتمل ان تكون لهم الغلبة اخيراً ما دام نواميس الكون تقضي ببقاء الاصلح وما دامت دول التحالف قد عفت عاينهم وعزمت على مبارأتهم . ولكن قد يكثر الخراب والدمار قبل التغلب عليهم